مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية ISSN: 1112-4628
مجلد : 12 عدد 25 السنة : 2020

الْبَلَاغَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي كُتُبِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ
-الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ أُنْموذَجًا-

Prophetic rhetoric in the books of Ghrib El-Hadith (books of the Meanings of Hadith words)

-"AL-Faïq" model-

إشراف: أ.د. أحمد كامش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-
Kamecheahmed86@gmail.com
الطالب: وليد خنّيش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-
walid.k23@gmail.com

تاريخ الوصول :2019/05/07 القبول:2019 /06/18النشر على الخط:.....
.....Received :.....l Accepted :.....l Published online :.....

مُلَخَّص:

يدرس هذا المقال الأساليب البلاغية التي ذكرها الزمخشري في كتابه "الفائق" خلالَ شرحه الألفاظَ الواردةَ في الأحاديث النبوية.

إن هذا المقال يقيم الدلائل والبراهين على أن البلاغة النبوية كانت محل عناية من قبل العلماء المتقدمين، وإن لم يفردوا ذلك بالتأليف والتصنيف -لاعتبارات مختلفة-؛ فقد كانوا على دراية تامة بذلك، وهو ما نراه واضحا جليا في ثنايا كتبهم، كشروح الحديث، وغريب الحديث، وكتب الأدب، والبلاغة، وغيرها.

الكلمات المفتاحية : بلاغة الحديث/ البلاغة النبوية/ الأساليب البلاغية في الحديث/ بلاغة الرسول ﷺ.

Abstract:

This article deals the rhetorical methods mentioned by al-Zamakhshari in his book Al-Faiq.

In this article, I will prove that the ancient scholars took care to extract the rhetorical methods from the Prophet's Hadiths, they did not write a special books on this topic, but this is found in their other books, such as the Books Explanation of Hadith, books of the Meanings of Hadith words (Gharib Al-Hadith), the books of literature ... etc

Keywords: rhetorical methods in Hadith / Prophetic rhetoric / Hadith / Balagha.

مقدمة:

لقد عني علماء اللغة ببيان بلاغة الحديث النبوي، ومن أهم من كتب في ذلك الزمخشري في كتابه "الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ"؛ فإن هذ الكتاب انطوى على جملة من الأساليب البلاغية، وإن كانت في مجملها مائلة إلى الاختصار والإيجاز؛ وفيما يأتي مزيد شرح وبيان لتلك المسائل.

إشكالية البحث:

في ضوء هذه الدراسة سأحاول الإجابة عن هذا سؤالين مهمين:

1- هل تعرض الزمخشري إلى كل الأساليب البلاغية في الأحاديث التي ذكرها، وما سبب ذلك؟

2- وما أهم سمات البلاغة النبوية في كتاب "الفائق".

المبحث الأول: الزمخشري وكتابه الفائق.

المطلب 1: ترجمة الزمخشري.

أولا: اسمه ونسبه ومذهبه:

هو محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، يُكْنَى: أبا القاسم، ويلقب بـ: جار الله[1]. وكان معتزلي المذهب في العقيدة[2]، أما في الفقه فكان حنفيا[3].

ثانيا: مولده ونشأته:

ولد بزمخشر، يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب، سنة 467هـ[4].

ثالثا: حياته العلمية:

نشأ الزمخشري محبا للعلم منذ الصغر، وقد أخذ عن كثير من العلماء؛ إذ كان كثير الرحلة[5].

وقد ترك كثيرا من الكتب في مختلف الفنون، مما يدل على تبحره في العلوم، وحيازته قدرا كبيرا منها، وهو ما شهد له به غير واحد من العلماء[6].

من مصنفاته: التفسير المعروف بـ: الكشاف، والقسطاس في العروض، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة وغيرها[7].

رابعا: وفاته:

توفي بخوارزم ليلة عرفة سنة: 538هـ[8].

---

[1] - إسماعيل باشا البغدادي. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، د.ط، 402/2.

[2] - كل من ترجم له ينسبه إلى انتحال مذهب الاعتزال، بل كان يصرح بذلك في تفسيره، ويناظر عليه.
ينظر: ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/1988م، 272/12.

[3] - نسبه صاحب "هدية العارفين" إلى المذهب الشافعي، وهو وهم؛ لأنه حنفي المذهب كما ذكرت المصادر الأخرى.
ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي. الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق، مطبعة المجمع العلمي، د.ط، 1421هـ/2001م، ص10.

[4] - القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ط1، 1406هـ/1986م، 266/3.

[5] - ينظر: المصدر نفسه، 265/3، والبداية والنهاية، 272/12.

[6] - ينظر: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ط، 168/5.

[7] - ينظر: المصدر نفسه، 168/5-169.

[8] - ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، 268/3.

المطلب 2: التعريف بكتاب "الفائق"[1]:

أولا: تحقيق عنوانه:

أشار محققا الكتاب على أن عنوانه: "الفائق في غريب الحديث".

ثانيا: نسبته إلى مصنفه:

تتابع العلماء على نسبة هذا المؤلف للزمخشري، من غير نكير بينهم.

ثالثا: بيان موضوعه:

يظهر من عنوان الكتاب أن موضوعه يختص ببيان ما غرُب من الحديث النبوي، سواء من حيث، اللغة، أو الإعراب، أو غير ذلك.

رابعا: بيان منهجه:

رتب الزمخشري كتابه على حروف المعجم، ترتيبا ألفبائيا، إلا أنه قدم "الواو" على "الهاء"، وهو ترتيب معروف عند اللغويين لا سيما أهل المغرب.

[1] - ينظر: الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق، ص23-33.

المبحث الثاني: نماذج من البلاغة في الحديث النبوي في كتاب الفائق.

المطلب 1: الإيجاز:

1. النبي ﷺ: «الصَّلاة مَثْنَى وَتَشَهُّدٌ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَبَأّسٌ -وَرُوِيَ: وَتَبَاءُسٌ- وَتَمَسْكُنٌ، وَتُقَنِّعَ يَدَيْكَ - وَرُوِيَ: وَتُقَنِّعَ رَأْسَكَ-، فَتَقُول: اللَّهُمَّ! اللَّهُمَّ! فَمَن لَّمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ» [1].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الْخِدَاجُ: مَصْدَرُ "خَدَجَتِ الْحَامِلُ" إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا قَبْلَ وَقْتِ النِّتَاجِ، فَاسْتُعِيرَ. وَالْمَعْنَى: ذَاتُ خِدَاجٍ، أَيْ: ذَاتُ نُقْصَانٍ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ»[2].

هذا الحديث الذي ذكره الزمخشري لا يصح عند المحدثين؛ إلا أن كلمة "خداج" وردت في حديث آخر، مع حملها الدلالةَ نفسَها: فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهْيَ خِدَاجٌ - ثَلاَثًا - غَيْرُ تَمَامٍ»[3].

في قول الزمخشري: **«وَالْمَعْنَى: ذَاتُ خِدَاجٍ، أَيْ: ذَاتُ نُقْصَانٍ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ»** إشارة إلى أن هذا الأسلوب البلاغي هو إيجاز بالحذف؛ إذ حذف المضاف وهو كلمة "ذات"[4]، وأقيم الذي بعده مقامه. ونظيره قول الخنساء:

ترتع ما رتعتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنـــما هيَ إقْبـــالٌ وإدبـــارُ[1]

---

[1]- أخرجه أحمد برقم: 17529.

ينظر: أحمد بن حنبل. المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421ه/2001م،

وقال الألباني: منكر.

=

ينظر: الألباني: محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1425ه، 107/14.

[2]- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي-أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت-لبنان، د.ط، 1414ه/1993م، 70/1.

[3]- رواه مسلم، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم: 395.

ينظر: مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 296/1.

[4]- ينظر: ابن الأثير الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن الجوزي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1421ه، ص255.

والمعنى: إنما هي ذات إقبال وإدبار[2].

2. النبي ﷺ: «لَا ثِنَى فِي الصَّدَقَةِ».

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الثِّنَى: مصدرٌ ك "القِلَى" و"الشِّرَى" من: "ثَنَيْتُ الشَّيْءَ": إذا أخذته مرة ثانية، و"ثَنَيْتُ الْأَرْضَ": إذا كريتها مرتين.

والمعنى: في أخذ الصدقة؛ فحذف المضاف.

والصدقة: المال المتصَدَّقُ به، ويجوز أن يكون بمعنى "التصديق"، من "صَدق المال": إذا أخذ صدقته، كالزكاة والذكاة، بمعنى التزكية والتذكية؛ فلا يقدر حذف مضاف. أراد: لا تؤخذ في السنة مرتين»[3].

قوله: «**والمعنى: في أخذ الصدقة؛ فحذف المضاف**» يقصد أنَّ في الكلام إيجازا بالحذف، والمحذوف هو المضاف، وتقدير الكلام: "لا ثِنَى في أخذ الصدقة".

3. «الصَّوْمُ فِي الشتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ»[4].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «بَارِدَة: هِيَ الَّتِي تَجِيء عفوا من غير أَن يصطلي دونهَا بِنَار الْحَرْب ويباشر حر الْقِتَال.

وَقيل: الثَّابِتَة الْحَاصِلَة؛ من: "بَرَدَ لي عَلَيْهِ حَقٌّ".

وَقيل: الهنية الطّيبَة من "الْعَيْش الْبَارِد"»[5].

وفيه إيجاز بالقِصَرِ؛ إذ هذا الكلام غاية في الاختصار، مع شدة الإيضاح، ودقة التصوير، وجمال التحرير والتقرير، وهو من جوامع كلمه ﷺ؛ لتضمنه كثير المعاني، مع قلة الألفاظ والمباني.

---

[1]- البيت من البسيط.

ينظر: ديوان الخنساء. اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1425ه/2004، ص46.

[2]- ينظر: الأنباري: محمد بن القاسم. كتاب الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، د.ط، 1407ه/1987م، ص249.

[3]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 177/1.

[4]- أخرجه أحمد في المسند برقم: 18959.

[5]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 91/1.

قال ابن سنان الخفاجي: «ومن نعوت الفصاحة والبلاغة: أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز، أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة ... فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه»[1].

المطلب 2: التشبيه:

التشبيه البليغ:

1. النبي ﷺ: «الصَّلاة مَثْنَى وَتَشَهُّدٌ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَبَأّسٌ -وَرُوِيَ: وَتَبَاءُسٌ- وَتَمَسْكُنٌ، وَتُقَنِّعَ يَدَيْكَ - وَرُوِيَ: وَتُقَنِّعَ رَأْسَكَ-، فَتَقُول: اللَّهُمَّ! اللَّهُمَّ! فَمَن لَّمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ».

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الْخِدَاجُ: مَصْدَرُ "خَدَجَتِ الْحَامِلُ" إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا قَبْلَ وَقْتِ النِّتَاجِ، فَاسْتُعِيرَ. وَالْمَعْنَى: ذَاتُ خِدَاجٍ، أَيْ: ذَاتُ نُقْصَانٍ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ»[2].

ولا يتأتى جعله من قبيل التشبيه البليغ إلا إذا جُعل "خداج" بمعنى: الجنين غير المكتمل، على ما ذكره أبو عبيدة، إذ قال: «وإذا لم يكن لتمامٍ -أي: الجنين- فطرحته من لدن تلقح إلى إن تضعه لتمام فهو خداج»[3].

2. النبي ﷺ: «إِنَّ تِهَامَةَ كَبَدِيعِ الْعَسَلِ؛ حُلْوٌ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ».

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «البديع: الزق الجديد وهي صفة غالبة كالحية والعجوز .

والمعنى: استطابة أرض تهامه كلها أولها وآخرها كما يستحلى زق العسل من حيث يبتدأ فيه إلى أن ينتهى.

وقيل: معناه أنها في أول الزمان وآخره على حال صالحة.

وقيل: لا يتغير طيبها كما أن العسل حلو أول ما يشتار ويجعل في الزق وبعد ما تمضى عليه مدة طويلة»[4].

---

[1]- ينظر: ابن سنان الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد. سر الفصاحة دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1402ه/1982م، 232/1.

[2]- تقدم، ص5.

[3]- ينظر: أبو عبيدة: معمر بن المثنى. كتاب الخيل، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند، ط1، 1358ه، ص43.

[4]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 86/1.

وفيه من البلاغة:

التشبيه: وهو تشبيه مرسل مفصل وإليه أشار الزمخشري بقوله: «**والمعنى: استطابة أرض تهامه كلها أولها وآخرها كما يستحلى زق العسل من حيث يبتدأ فيه إلى أن ينتهى**».

إلا أنه في هذا الموضع جَعَلَ وجه الشبه: الاستطابة، وجعله في الموضع الثاني: الصلاح، كما في قوله: «**وقيل: معناه أنها في أول الزمان وآخره على حال صالحة**».

بينما في الموضع الثالث جعله: الثبوت على هيئة واحدة وعدم التغيُّر؛ وهو ما أشار إليه بقوله: «**وقيل: لا يتغير طيبها كما أن العسل حلو أول ما يشتار ويجعل في الزق وبعدما تمضى عليه مدة طويلة**».

ويمكن الجمع بين هذه الوجوه -وهو الأَوْلى- بالقول: إنه شَبَّه تِهَامة بالبديع لطيب هوائها، وأنه لا يتغيَّر كما أن العسل لا يتغير[1].

3. النبي ﷺ: «الصَّوْمُ فِي الشتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ»[2].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «بَارِدَة: هِيَ الَّتِي تَجِيء عفوا من غير أَن يصطلي دونهَا بِنَار الْحَرْب ويباشر حر الْقِتَال. وَقيل: الثَّابِتَة الْحَاصِلَة؛ من: "بَرَدَ لي عَلَيْهِ حَقٌّ".

وَقيل: الهنية الطّيبَة من "الْعَيْش الْبَارِد"»[3].

وفيه من البلاغة:

تشبيه التمثيل[4]: فقد شبه صورة من يصوم في فصل الشتاء، بمن أخذ الغنيمة دون قتال، ووجه الشبه هنا:

صورة من يُحصِّل مراده وينال طَلِبَتَه دون عناء ولا تعب.

فصوم الشتاء ليس كصوم الصيف، الذي يقاسي فيه الصائم العطش والجوع[1]، ومع ذلك ينال جزاء صومه الأجور العظيمة، وهذا هو المقصود بقوله: "الغنيمة".

---

[1]- ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، 67.

[2]- أخرجه أحمد في المسند برقم: 18959.

[3]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 91/1.

[4]- وقد ذكر ابن رشيق القيرواني أن هذا الحديث من باب التمثيل.

ينظر: ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401ه/1981م، 278/1.

أما قول الزمخشري: «**وَقيل: الثَّابِتَة الْحَاصِلَة؛ من: "بَرَدَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ"**»، فحمل الحديث عليه مرجوح؛ فالأجر والثواب حاصل قطعا -بشروطه- سواء كان الصوم في الشتاء أم في الصيف.

وقوله: «**وَقيل: الهنية الطّيبَة من "الْعَيْش الْبَارِد"**» مأخوذ من قول الجاحظ؛ قال الميداني: «وللجاحظ في ذلكَ قول ثالث، زعم أن أهل تهامة والحجاز لما عَدِمُوا البردَ في مشاربهم وملاَبسهم إلاَ إذا هبت الشَّمَال، سَمَّوْا الماء "النعمة الباردة"، ثم كثر ذلكَ منهم حتى سَمُّوا ما غنموه "الباردة"؛ تلذذا منهم كتلذذهم بالماء البارد»[2].

4. النَّبِي ﷺ: «خَلَّفْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي»[3].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الثّقل: الْمَتَاع الْمَحْمُول على الدَّابَّة وَإِنَّمَا قيل للجن وَالْإِنْس: الثَّقَلَان لِأَنَّهُمَا قطَّان الأَرْض

فكأنهما أثقلاها. وَقد شبه بهما الْكتاب والعترة فِي أَن الدّين يستصلح بهما ويعمر كَمَا عمرت الدُّنْيَا بالثقلين»[4].

فيه من البلاغة:

التشبيه البليغ، وقد أشار الزمخشري إلى ذلك بقوله: «**وَقد شبه بهما الْكتاب والعترة فِي أَن الدّين يستصلح بهما ويعمر كَمَا عمرت الدُّنْيَا بالثقلين**».

5. النبي ﷺ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَكَأَنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي جَوْفِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»[5]

---

[1]- ينظر: أبو عُبيد: القاسم بن سلاّم. غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة-مصر، د.ط، 1404ه/1984م، 405/1.

[2]- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم. مجمع الأمثال: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، مطبعة المنة المحمدية، 1374ه/1955م، 253/2.

[3]- أخرجه الطبراني برقم: 4980. ينظر: الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 169/5.

[4]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 170/1.

[5]- أخرجه ابن حبان، برقم: 5342. وفي طبعة با وزير برقم: 5318.

ينظر: ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، أبو حاتم. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1408ه/1988م، 160/12.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «أي: يرددها فيه؛ من "جرجر الفحل" إذا ردد الصوت في حنجرته»[1].

فيه من البلاغة:

التشبيه: حيث شبه الشرب في آنية الذهب والفضة بتجرع نار جهنم؛ لأن الشرب فيهما معصية يعذَّب صاحبها بالنار[2].

المطلب 3: المجاز والاستعارة:

الاستعارة المكنية:

1. النبي ﷺ: «الصَّلاة مَثْنَى وَتَشَهُّدٌ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَبَأّسٌ -وَرُوِيَ: وَتَبَاءُسٌ- وَتَمَسْكُنٌ، وَتُقَنِّعَ يَدَيْكَ - وَرُوِيَ: وَتُقَنِّعَ رَأْسَكَ-، فَتَقُول: اللَّهُمَّ! اللَّهُمَّ! فَمَن لَّمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ».

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الْخِدَاجُ: مَصْدَرُ "خَدَجَتِ الْحَامِلُ" إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا قَبْلَ وَقْتِ النِّتَاجِ، فَاسْتُعِيرَ. وَالْمَعْنَى: ذَاتُ خِدَاجٍ، أَيْ: ذَاتُ نُقْصَانٍ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ»[3].

في قوله: «"الخداج": مصدر "خَدَجَتِ الْحَامِلُ" إذا أَلْقَت وَلَدهَا قبل وَقت النِّتَاج، فاستعير».

حيث شبه الرجلَ الذي لا يقرأ في صلاته الفاتحة بالناقة التي جاءت بولدها غير مكتمل الخلق وقد تم وقت حملها، بجامع النقصان في كلٍّ حيث حذف المشبه به وجيء بلازم من لوازمه، وهو "الخداج" على سبيل الاستعارة المكنية.

المجاز المرسل:

ذكر هذا الوجه ابن الأنباري فقال: «و"خِداج" في هذا الحديث موضوع موضع "خادجَة" أَو "خادج"»[4]. فهذا مجاز مرسل علا قته التعلق الاشتقاقي؛ حيث أُقيم المصدر الذي هو "خِداج" مقام اسم الفاعل وهو "خادجَة" أَو "خادج".

---

[1]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 202/1.

[2]- وهذا كقولِ الله تعالى: ﴿ □□□□□□□□□□ ﴾ [سورة النساء: 10]؛ فجعل أكل مال اليتيمِ مثل أكل النارِ، لأن ذلك يُؤدّي إلى النار.

ينظر: الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2001م، 257/10.

[3]- تقدم، ص5.

[4]- كتاب الأضداد، ص249.

2. «إِنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ لَهُ: إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيّ بَيْرحَى وَإِنَّهَا صَدَقَة الله أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرهَا عِنْد الله. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: "بَخٍ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ -أَوْ قَالَ رَائِحٌ-"»[1]....

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «رابح: ذُو ربح، كَقَوْلِهِم: همٌّ ناصب»[2].

وفيه من البلاغة: المجاز العقلي، وعلاقته المفعولية؛ حيث أقيم اسم الفاعل محل اسم المفعول. والمراد به المبالغة والتفخيم[3].

3. النبي ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»[4].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «لما رَأَوْا بعض الْأَشْيَاء يتَّصل ويختلط بالنداوة، وَيحصل بَينهمَا التَّجَافِي والتفرق باليبس، واستعاروا "البل" لمعنى الْوَصْل، و"اليبس" لِمَعْنى القطيعة، فَقَالُوا فِي الْمثل: لاتُؤْبِسِ الثرى بيني وَبَيْنك.

قَالَ:

فَلَا تُؤْبِسوا بَيْنِي وَبَيْنَكم الثَّرَى * فإنّ الذِي بيني وَبَيْنكُم مُثْرِى»[5].**

وفيه من البلاغة:

الاستعارة المكنية: حيث شبه الرحم بالأرض التي إذا وقع عليها الماء وسقاها حق سقيها أزهرت، ورؤيت فيها

---

[1]- صحيح مسلم برقم: 998، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج.

ينظر: مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ (ضمن موسوعة الحديث الشريف)، أشراف على تحقيقه: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، د.ط، ص836.

[2]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 93/1.

[3]- ينظر: أبو علي الفارسي. المسائل الحلبيات، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1407ه/1987، ص197.

[4]- أخرجه البيهقي برقم: 7602.

ينظر: البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423ه/2003م، 346/10.

[5]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 127/1.

النضارة، فأثمرت المحبة والصفاء. وإذا تركت بغير سقي، يبست وبطلت منفعتها، فلا تثمر إلا البغضاء والجفاء[1]؛ فحذف المشبه به وجيء بلازم من لوازمه وهو "البل"، على سبيل الاستعارة المكنية.

4. النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ ٱلْفُحْشُ وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَتَهْلِكَ الْوُعُولُ وَتَظْهَرَ التُّحُوتُ». قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ! وَمَا الْوُعُولُ، وَمَا التُّحُوتُ؟ قَالَ: «الْوُعُولُ: وُجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ. والتُّحُوت: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ»[(2)].

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «شبه الأشراف بالوعول لارتفاع مساكنها. وجعل "تحت" الذي هو ظرف نقيض "فوق" اسما، فأدخل عليه لام التعريف، ومثله قول العرب لمن يقول ابتداء: عندي كذا: أو لك عند؟»[(3)].

فيه من البلاغة:

الاستعارة التصريحية: حيث شبه الأشراف بالوعول بجامع الارتفاع في كل؛ فحذف المشبه، وصرح بالمشبه به.

خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز للأساليب البلاغية في الأحاديث النبوية، مما تضمنه كتاب "الفائق"، توصلت إلى النتائج التالية:

1. الحديث النبوي الشريف مجال رحب، وميدان فسيح للدراسات البلاغية؛ فينبغي على الدارسين العناية به

من حيث البحث والتأصيل، وإظهار الصور البيانية، والكشف عنها. وما حواه كتاب "الفائق" من الأساليب

[(1)]- ينظر: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز وآخرون، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د.ط، 10/422-423.

[(2)]- أخرجه الحاكم في المستدرك برقم: 8644.

=

ينظر: الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م، 4/590.

[(3)]- الفائق في غريب الحديث والأثر، 1/148.

البلاغية ليس إلا نزرا يسيرا، وقدرا قليلا، كَحَسْوِ الطائر، مقارنة بما اشتمل عليه الحديث النبوي من بلاغة.

2. شدة عناية العلماء المتقدمين باستخراج الأساليب البلاغية من الأحاديث النبوية، وقد شغلت هذه الدراسات جانبا كبيرا من مصنفاتهم؛ ويعتبر كتاب "الفائق" أنموذجا يعكس مدى عناية المؤلفين في غريب الحديث بالدرس البلاغي.

3. من السمات الظاهرة في الحديث النبوي: تعدد الأساليب البلاغية، ومراعاة الأحوال والمقامات المختلفة، وكذا براعة التصوير، ودقة التعبير، وتنوع التشبيهات.

4. عدم ذكر الزمخشري لجميع ما تضمنه الحديث النبوي من بلاغة؛ ولعله اكتفى بإيراد الأهم من ذلك.